نحو معجم موحد لألفاظ الحضارة

للدكتور عبد الكريم خليفة

أيها العلماء الأفاضل ، شيوخ العربية وحماتها .

سيداتى . . . سادتى .

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ، وبعد :

فإنه لشرف كبير أعتز به ، أن أقف فى مجمع اللغة العربية بالقاهرة ، فى حرم مجمع اللغة الخالدة ، لكى أقدم أزكى تحية وخالص الاحترام ، لشيوخ العربية وفرسانها ، الذائدين عن حياضها ، والمدافعين عن كرامتها ، والباذلين فى سبيلها أكرم ما يبذله الإنسان من عقله وجسمه . فتحية عطرة أزجيها إلى مجمعنا الشيخ بالقاهرة الحبيبة ؛ حصن العروبة والإسلام ، هكذا وجدت منذ بنائها وهكذا ستبقى إلى الأبد أن شاء الله. تحية أزجيها باسمى واسم مجمعكم فى بلدكم الأردن الصامد أمام أشرس هجمة استعمارية صهيونية تستهدف الوطن والأهل وأولى القبلتين .

إنها أيها الأخوة الزملاء تحية الحب والاحترام والعرفان بالفضل والعلم ، أقدمها باسم مجمعكم الأردنى الفتى إلى مجمعنا الشيخ بالقاهرة العزيزة ، إلى مجمع اللغة الخالدة هذه اللغة التى شرفها الله سبحانه وتعالى وأعزها بأن جعلها لغة القرآن الكريم فأصبحت خالدة بخلود هذا التنزيل العزيز . إنها أيها العلماء الأجلاء تحية التلميذ لشيخه . . وهل هناك أسمى من هذه العلاقة الروحية . . . ألسنا فى ذلك فى صميم قيم خلقية وإنسانية سامية يعتز بها تراث أمتنا العظيمة عبر تاريخها الزاهر . . . وإنه مما يميز تراثنا هذه العلاقة الإنسانية الرفيعة التى تصل بين التلميذ وشيخه . . . فالتلميذ يعتز بشيخه ، والشيخ يفخر بتلاميذه ويحوطهم بعنايته ورعايته .

أيها السادة العلماء إننا نجتمع اليوم فى حرم اللغة الخالدة كى نحتفل بمناسبة كريمة

(*) ألقى البحث فى الجلسة الرابعة من جلسات الاحتفال بالعيد الخمسينى للمجمع .

عزيزة على قلوبنا جميعاً إنها مناسبة مجمعنا القاهرى فى عيده الخمسينى الزاهر ، وإن كنا نعلم يقيناً أن عمره المعطاء ، من حيث هو فكرة وجهد ، يمتد إلى أبعد من ذلك بخمسين سنة أخرى . . وأستغفر الله من زلل اللسان ؛ فإنى أتحدث عن عمره الزمنى فى نهضتنا الحديثة . . إذ أن عمره الحقيقى قد بدأ منذ بدأت أرض الكنانة الغالية ، بشعبها المعطاء وعلمائها الأفذاذ ، فى رفع راية القرآن وصنع تاريخنا وحضارتنا العربية الإسلامية ، وذلك منذ قرون عدة . وليس هذا العيد الخمسينى الزاهر ، سوى رمز لما يمثله هذا الانعطاف الحضارى فى تاريخنا الحديث وإن المؤرخ الحق ، الذى يكتب تاريخ أمتنا العربية فى العصر الحديث — ولما يكتب بعد هذا التاريخ — ، لابد أن يخص اللغة العربية ومسيرتها فى العصر الحديث ، بمكانة متميزة . فهى فى مسيرتها التاريخية تمثل مسيرة أمتنا فى مختلف أقطارها .

فالعربية الفصحى ، لغة الفكر والعلم ، لغة المعرفة الإنسانية والحضارة العالمية ، احتلت المكانة الأولى لعدة قرون من تاريخنا الزاهر . وهى من حيث الواقع تجسد جوهر وجود أمتنا فى كونها لغة العروبة والإسلام . هذه الأمة المتميزة بلغتها وحضارتها التى شرفها الله سبحانه وتعالى برسالة الإسلام ، تحمل لواءه إلى أمم الأرض قاطبة . فكانت مصدر إشعاع لقيم إنسانية سامية . تساوى بين جميع بنى البشر على مختلف ألسنتهم وأجناسهم وألوانهم ، منذ أكثر من أربعة عشر قرنا . وها هى أمتنا تخوض نضالا مريرا من أجل بقائها حرة عزيزة موحدة .

ونحن إذا استعرضنا صفحات هذا التاريخ ، ولاسيما الحديث منه ، ألفينا أن كل حملة من حملات الاستعمار ، منذ القرن التاسع عشر ، وكل اعتداء على هذه الأمة فى مختلف أقطارها ، كان ومازال يستهدف ، أول مايستهدف ، اللغة العربية الفصحى وتراث أمتنا وعقيدتها ، سواء أكان ذلك فى المغرب العربى أم فى الشرق .

فإذا رجعنا إلى الوثائق والكتابات التى بين أيدينا ، ولاسيما فيما كان يدور بين دعاة العامية ، من حاقدين ومغرضين ، والمنافحين عن العربية الفصحى وكرامتها ، وجدنا توافقا كليا بين الهجوم على الأمة ومحاولة اغتصاب أوطانها واستباحة أموالها وكرامتها ، وبين الهجوم على اللغة العربية الفصحى وعقيدة الأمة وتراثها . وإن النظرة الشاملة قادرة على تتبع ذلك فى تاريخنا المعاصر ، منذ احتلال الفرنسيين

الشمال الأفريقى والاحتلال الإنجليزى لمصر ، مارين بتصفية الدولة العثمانية وتقاسم الدول الاستعمارية من إنجليز وفرنسيين وإيطاليين للبلاد العربية حتى الهجمة الاستعمارية الأمريكية الصهيونية الأوروبية الشرسة ، التى مازال أتونها يستعر ، وتهب سمومها على وطننا العربى بخاصة ، وعلى أمتنا الإسلامية بعامة ، وتكتفى فى هذا الموضع بأن نشير فقط إلى ما كتبه علماؤنا من جهابذة العربية فى منافحتهم عن تراث الأمة ولغتها والتصدى لأعدائها ، وكذلك إلى مادونه الباحثون من تاريخ الصراع بين العامية والفصحى ، ولاسيما فى أرض الكنانة الغالية ، فقد نافح شيوخ العربية وحماتها عن جوهر وجود أمتنا بذبهم عن حياض اللغة العربية الفصحى الخالدة ، جزاهم الله عن العربية والإسلام خيرا . لقد ظهرت مؤلفات استطاعت أن تتتبع جذور الدعوة إلى العامية ، وأن تعرض بصورة شاملة ، طبيعة هذا الصراع الخبيث ، بأبعاده السياسية والعقائدية ، وعلى اختلاف مظاهره ، وأزيائه التى يختفى تحتها . (١)

وكان الصراع بين العربية الفصحى وأعدائها من الداعين إلى العامية وغيرهم ، يشتد أحيانا ويخبو أحيانا أخرى . وقد بلغت هذه المعركة الحاقدة ، للنيل من اللغة العربية الفصيحة ، إلى الحد الذى يقول فيه العالم الجليل عضو مجمع اللغة العربية بالقاهرة الأستاذ على النجدى ناصف ، فى كتابه « من قضايا اللغة والنحو » : وأعجب ماعجبنا له من شئون العامية ، أنها استطاعت فى وقت ما أن تقتحم مجمع اللغة العربية ، وتجد بين المجمعيين من يحنو عليها ، ويدعو إلى اصطناعها فى إنتاج لون من الأدب للشعب ، لأنه يعيش ، بسبب اللغة الفصيحة واستئثار الخاصة بها ، فى عزلة ووحشة فى دنيا الأدب . فالمفهوم أن مجمع اللغة العربية آخر مكان يظن أن يكون للعامية فيه اعتبار ، وأن المجمعيين آخر من يظن أن يحسبوا للعامية حسابا فى الإنتاج الأدبى على وجه من الوجوه .

« والمشكلة فى صميمها مشكلة الجهل والفقر ، فإذا أردنا أن نحلها حلا حاسما ، فعلينا أن نواصل العمل فى جد ودأب ، على رفع مستوى الشعب العقلى والاقتصادى معا . . . » إلى أن يقول : « على أن المجمع ، حفاظا على سمته ، وجهادا فى رسالته ،

انظر :

(١) محمود محمد شاكر ، أباطيل و أسمار ، القاهرة .

(٢) أحمد عبد الغفور عطار ، الزحف على لغة القرآن ، بيروت ، سنة ١٩٦٥ م .

(٣) نفوسة زكريا ، تاريخ الدعوة إلى اللغة العامية وآثارها فى مصر ، القاهرة ، ١٩٦٤ م .

لم يقر صاحب الرأى على رأيه ، ولا شاركه فيه ، فمضى مع الأيام ، كما يمضى كل رأى غير صالح للبقاء »[1] .

ومضى مجمع اللغة الخالدة بالقاهرة يعالج قضايا اللغة العربية ، بدراسات علمية مبدعة ، حريصا على سلامة اللغة من ناحية وعلى جعلها مطواعة قادرة على استيعاب جميع المعارف الإنسانية من ناحية أخرى ، تعالج تيسير قضايا النحو واللغة والإملاء ، وتميز إلى جانب ذلك كله بما بذله من جهود خيرة خصبة فى مجال المصطلحات العلمية والفنية والحضارية ، فكانت له آراء قويمة واجتهادات صائبة . مثال ذلك : اجتهاده فى فتح باب الوضع بوسائله المعروفة من اشتقاق ونحت ومجاز وارتجال . . . وذلك لاستيعاب هذا السيل الضخم من المعارف الجديدة . وقد نص قراره المعروف : بأن تدرس كل كلمة من الكلمات الشائعة على ألسنة الناس ، على أن يراعى فى هذه الدراسة أن تكون الكلمة مستساغة ، ولم يعرف لها مرادف عربى سابق صالح للاستعمال . وكذلك الشأن فى قبوله السماع من المحدثين ، بشرط أن تدرس كل كلمة قبل إقرارها . . .

كانت أغراض المجمع واضحة محددة منذ صدور مرسوم إنشائه فى الرابع عشر من شهر شعبان — ١٣٥١هـ الموافق ١٣ ديسمبر—١٩٣٢م . فقد ورد فى الفقرة (أ) من المادة الثانية حول أغراض المجمع ما نصه :

(أ) المحافظة على سلامة اللغة العربية ، وأن يجعلها وافية بمطالب العلوم والفنون فى تقدمها ، ملائمة على العموم لحاجات الحياة فى العصر الحاضر ، وذلك بأن يحدد فى معاجم أو تفاسير خاصة ، أو بغير ذلك من الطرق ، ما ينبغى استعماله أو تجنبه من الألفاظ والتراكيب .

أيها السادة العلماء ، ليس من غرضى فى هذه الكلمة القصيرة ، أن أستعرض جهود مجمعنا العتيد بالقاهرة ، ولا أن أعدد منجزاته الضخمة الأصيلة ، على الرغم من الصعاب التى اكتنفت مسيرته المظفرة ، ولكنى أود أن أقول : إن تأسيس مجمع اللغة العربية بالقاهرة قبل نيف وخمسين عاما ، كان إيذانا بانتصار العربية الفصحى وتبوئها مكانتها الرسمية فى مؤسسات الدولة ، وكان قبل ذلك بحوالى عقد من الزمن قد رفع رايتها مجمع اللغة الخالدة فى دمشق الفيحاء .

---

(١) على النجدى ناصف ، من قضايا اللغة والنحو ، ص ٤٨ — ٤٩ ، القاهرة .

جاء تأسيس المجمع بالقاهرة إيذانا بانتصار مظفر للغة العربية الفصحى فى معركة دامت أيضا خمسين سنة قبل إنشائه . وقبيل تأسيس المجمع يقول الشيخ محمد الخضر حسين : « والوسيلة التى تنهض باللغة ، وترفعها إلى مستوى اللغات الراقية ، هى الوسيلة التى نهضت بتلك اللغات الحية ، وجعلتها تسير مع العلم والحضارة كتفا لكتف ، أعنى تأليف مجمع لغوى ينظر فيما تجدد أو يتجدد من المعانى ، ويضع لكل معنى لفظا يناسبه . إلى أن يقول : « وإنما يشفى غلة العلوم المتكاثرة ، ويملاء عين المدنية الزاخرة ، تأليف مجمع لغوى يسير مع العلوم والمدنية ، ولايتأخر عنها طرفة عين »[1] .

وفى مسيرة نصف قرن ، حقق المجمع منجزات علمية ضخمة ، وكانت له جهود متميزة فى تيسير المصطلح العلمى ، وذلك من خلال منهجية علمية تحرص على أصالة اللغة وسلامتها ، من ناحية ، وعلى الانطلاق بها لاستيعاب هذا السيل الهائل من المصطلحات والرموز التى تتزايد بتسارع كبير ، ولاسيما فى النصف الثانى من القرن العشرين من ناحية أخرى . ومن سمات هذه المنهجية استفتاؤه للتراث جهد الطاقة ، واستخراجه منه ماله صلة بما يطرح على بساط البحث ، متلمسا مستندا وحجة فى باب الاجتهاد والتجديد .

ولكن من الأسف لم تجد هذه الجهود العلمية الضخمة طريقها للتنفيذ والحياة العملية فى أكثر الأحوال ، واستمرت سياسة إقصاء العربية عن لغة التدريس الجامعى فى الكليات العلمية وفى الدراسات العليا وفى البحث العلمى ، متذرعة ، بتبريرات زائفة وحجج واهية لاتعدم لها أنصارا . وإذا كانت مجامعنا اللغوية ، وقد مضى على إنشائها أكثر من نصف قرن ، لما « تشف غلة العلوم المتكاثرة » ولما « تملأ» بعد « عين المدنية الزاخرة » فإن السبب فى ذلك ، بعيد كل البعد عن أن تكون له علاقة باللغة العربية نفسها ، من حيث هى لغة ، ولا بالمجامع اللغوية التى تضم جهابذة من علمائنا الأفذاذ ، وإنما الأمر يتعلق بالسياسة التعليمية التى فرضت على الوطن العربى ، فى مشرقه وفى مغربه . وإن سياسة إقصاء اللغة العربية عن مجالاتها العلمية والتقنية ، التى مازالت مع الأسف مستمرة فى كثير من أقطار الوطن العربى ، ماهى إلا أصداء للمعركة التى تخوضها العربية الفصحى منذ نهاية القرن التاسع عشر حتى الوقت الحاضر . وإن هذا الصراع اللغوى هو فى حقيقته صراع أمتنا بين البقاء فى التبعية الفكرية والحضارية والسياسية من ناحية ، والتحرر

(١) محمد الخضر حسين : القياس فى اللغة العربية ص ٢٠ القاهرة ١٣٥٣ هـ

والإبداع والمشاركة الأصلية فى بناءالحضارة العالمية من ناحية أخرى. وإن وضع آلاف المصطلحات العلمية وتكديسها على رفوف المكتبات لايغنى شيئا ، إذا لم تصبح اللغة العربية الفصحى لغة التدريس فى جميع مستوياته ، ولغة البحث العلمى والتقنيات الحديثة . فاللغة تحيا بالاستعمال ، ونمو اللغة يعنى حياتها فى جميع الشؤون والأغراض الإنسانية .

أيها السادة العلماء فعلى الرغم من التجزئة السياسية التى فرضها الاستعمار على أقطار أمتنا وبذله الجهد فى تعميق الحواجز ، وتغذيته أسباب القطيعة ، من خلال عملائه وحلفائه من الحاقدين على تراث هذه الأمة والمنتفعين بهذه التجزئة والقطيعة ، أقول فعلى الرغم من هذا كله ، فإن اللغة العربية الفصحى ، لغة القرآن الخالد ، تقف طودا شامخا تجمع حولها أبناء أمتنا وترص صفوفهم وتوحد اتجاهاتهم ومشاعرهم . وإن أهم ماتتميز به لغتنا العربية عن جميع اللغات ، على حد مانعلم ، أنها فضلا عن كونها فكرا وتعبيرا عن الفكر ، فهى فى ذاتها لغة التراث عبر القرون ، ولغة الإسلام فى هذا الكون .

وقد أدركت مجامعنا اللغوية هذه الحقائق منذ البداية ، وأن اللغة العربية الفصحى هى الدعامة الأساسية فى بناء وحدة الأمة ، فعملت هذه المجامع على توثيق الروابط بينها من خلال علمائها المجمعيين . . . وإن حاجات العصر وطبيعة الظروف التى تمر بها أمتنا ، وهـــذه الثورة العلمية التى تزداد بتسارع هائل ، لتفرض على مجامعنا ومؤسساتنا العلمية والجامعية والمهنية واجبات ضخمة ، تهدف إلى جعل اللغة العربية لغة العلوم والفنون والحياة فى الوطن العربى . وإذا كان النص القرآنى يتكفل دوما بتوحيد اللغة الأدبية ، فإن جهودا كبيرة يجب أن تبذل من أجل توحيد اللغة العلمية والتقنية ولغة أصحاب المهن ومتطلبات الحياة الحضارية .

وإنه لمن بدهيات الأمـــور ، أن يكون هنالك مجمع واحد للغة واحدة ، يعنى بها لغة عربية فصحى موحدة فى العلوم والفنون والحياة الحضارية ، وفى جميع أقطار الوطن العربى . ولاشك أن فكرة اتحاد المجامع اللغوية العربية ، قد ظهرت تعبيرا طبيعيا عن هذا الواقع اللغوى ، الذى تخوض فيه العربية الفصحى صراعا مريرا مع أعداء الأمس واليوم . وإننا ننظر ، بعين الأمل ، إلى اتحاد مجامعنا لكى يصبح فى المستقبل القريب ، إن شاء الله ، مجمعاً واحدا للغة العربية .

ونحن نعتقد أنه قد حان الوقت لكى ينهض اتحاد المجامع اللغوية بواجباته التاريخية ، من خلال المجامع اللغوية العربية ، ومن خلال الجامعات العربية والمؤسسات العلمية فى الوطن العربى ، لتحقيق مشروعين أساسيين هما : المعجم التاريخى للغة العربية ، والمعجم الموحد لألفاظ الحضارة . أما أولا هما فهو مانصت عليه الفقرة (ب) من المادة الثانية من مرسوم إنشاء مجمع اللغة العربية بالقاهرة سنة ١٩٣٢ م حيث يقول : « أن يقوم (أى المجمع) بوضع معجم تاريخى للغة العربية ، وأن ينشر أبحاثا دقيقة فى تاريخ بعض الكلمات وتغير مدلولاتها » وعلى الرغم من أن مجمعنا العتيد بالقاهرة قد حقق منجزات مهمة فى مجال المعاجم ، بما فى ذلك مشروعه الضخم ، « المعجم الكبير » ، فإن لغتنا تنقصها موسوعة تضم كل عناصر اللغة ، وتدون تطورها على مر العصور ، وكل أنواع الأساليب فيها ، وتأتى بشواهد لكل منها تبين النادر أو الكثير الورود ، وتبين العام منها والخاص فى النثر أو فى الشعر .

وقد بات من الضرورى أن تتضافر الجهود فى الأقطار العربية من أجل وضع هذا المعجم التاريخى ، بأن تبحث كل كلمة على حدة . عن أصلها واشتقاقها ، وعن درجة قدمها ، وعن وجودها فى اللغة العربية وحدها أو اشتراكها فيها مع أخواتها من اللغات السامية . . . وعن مصدرها : إذا كانت دخيلة أو مبتكرة أو مولدة ، ومن أية لغة دخلت إذا كانت دخيلة ، وعن زمن ابتكارها أو زمن استعارتها ، وعن تغير شكلها أو معناها ، وإذا كانت اللفظة قد زالت من الاستعمال جرى تتبع زمن زوالها ، وبهذا يكون لكل كلمة فى اللغة تاريخ وترجمة لحياتها ،[1] وذلك على غرار المعاجم التاريخية لكثير من لغات الأمم المتقدمة .

ونحن نعتقد أن إنجاز مثل هذا المشروع الحيوى ، ركن أساسى من أركان نهضة أمتنا من خلال لغتها ، فضلا عن أن مثل هذه الدراسة لتاريخ اللغة العربية وتتطور دلالة الألفاظ فيها ، ستقدم صورة دقيقة لتاريخ الحضارة العربية .

وأما المشروع الآخر ، فيتمثل بوضع معجم موحد لألفاظ الحضارة . وإن الاحتفال بالعيد الخمسينى الزاهر لمجمعنا الشيخ بالقاهـرة ، لمناسبة مهمة ، تؤذن بانتقالة تاريخية فى حياة اللغة العربية ، بأن تصبح لغة التدريس الجامعى فى جميع مجـالات العلوم والفنون ، ولغة البحث العلمى والتقنيات الحديثة ، وأن تكون لدينا لغة

---

(١) انظر : مراد كامل : دلالة الألفاظ العربية وتطورها ، ص٣٣ ، القاهرة ، ١٩٦٣ م .

عربية واحدة تشمل جميع مناحى الحياة : العلمية والاجتماعية والاقتصادية . فاللغة ، كما هو معروف ، أقوى دعائم التوثيق بين الأفراد والشعوب ، وأن العربية الفصحى تمثل حضارة أمتنا . ومن هنا تحتل المسألة اللغوية مكانة متميزة فى تاريخ نهضتنا الحديثة .

لقد بات من الضرورى وجود معجم حديث ، ليس فقط لكى يستجيب لحاجات العصر الحديث ، ولكن لكى يوحد أسماء الأشياء والأدوات والآلات ، وجميع مايستعمله الإنسان العربى من مأكل وملبس وأثاث ، وجميع مايخص حياته فى عالم الحيوان والنبات ، وفى شتى أنواع المهن ، من فلاحة وتجارة وصناعة . . . الخ .

إن هذا الاتجاه فى التوحد اللغوى ، الذى تسلكه العربية الفصحى فى صراعها مع العاميات واللهجات والشعوبيين لايصدر فقط عن كونها لغة التراث العربى عبر القرون، فى مجالاته الأدبية والعلمية والحضارية ، ولايصدر عن كونها لغة القرآن الكريم ، وبالتالى فهى ليست لغة قوم من الناس فقط ، ولكنها تخص المسلمين جميعا ؛ فهذا الاتجاه فى التوحد اللغوى لايصدر عن هذا كله فقط ، ولكنه يصدر أيضا عن اتجاه أصيل نحو الوحدة المتزايدة الاتساع ، وهو أحد اتجاهين أصيلين متعارضين تخضع لهما حياة كل لغة من اللغات ، إذ يرى اللغويون أن فى حياة اللغة ميلين متعارضين : أحدهما نحو التقسيم إلى لغات ولهجات ، والثانى نحو الوحدة المتزايدة الاتساع . وهذا التقسيم والتوحد كلاهما فعل أحداث تؤثر فى الجماعات[1] .

وقد بنى خصوم العربية الفصحى ، من استعماريين وشعوبيين وحاقدين ، نظريتهم فى محاربة اللغة العربية الفصحى على المقولة التى مؤداها أن الاتجاه فى حياة اللغة نحو التقسيم أقوى من الاتجاه نحو التوحد ، وأن الاتجاه الأول هو عملية التطور الطبيعية للغة . وحجتهم فى ذلك مارصده علماء اللغة ، بصورة عامة ، من ظواهر فى حياة اللغة ، حيث وجدوا أنه لم تظهر لغة عامة إلا تقسمت فى لغات كثيرة . وعلى هذا الأساس وضعوا فرضيتهم القائلة ، ولماذا تكون اللغة العربية الفصحى بمنأى عما يصدق من قوانين على اللغات الأخرى ! !

وقد فاتهم ، وأعماهم الحقد والهوى ، عن النظر إلى الجانب الآخر من هذه النظرية اللغوية نفسها ، التى مؤداها أن هنالك قوى لايجوز التغافل عنها ، تعمل

---

(١) انظر : محمود السعران ، اللغة والمجتمع — رأى ومنهج ، ص ١٧٠ ، القاهرة ، ١٩٦٣ م .

فى الاتجاه المضاد ، وأن هذه القوى الموحدة ، كانت فى العصور التاريخية أقوى فى حقيقة الأمر من القوى المقسمة ، وإنها لكذلك فى الوقت الحاضر على وجه الخصوص ، وستكون كذلك أيضا فى المستقبل .[1] ومما يستشهد به العالم اللغوى جسبرسن على صحة رأيه هو ، أنه على الرغم من أن عدد اللغات الآن أكثر منه فى بعض العصور الماضية ، إلا أن عدد المتكلمين بلغة من اللغات المنبثقة عن لغة عامة — فى عصرنا المزدحم بالسكان ازدحاما لم يعرف من قبل — هو فى معظم الحالات أكثر أضعافا مضاعفة من مجموع الذين كانوا يتكلمون تلك اللغة العامة . : . ولا أدل على ذلك من عدد المتكلمين بالإنجليزية والفرنسية والإسبانية والروسية والصينية وغيرها .

أيها السادة العلماء : ليس من هدفى فى هذه الكلمة دراسة العوامل التى تساعد على ظهور لغة عامة وعلى نشرها ، ولكننى أود أن أسجل ، فى هذه المناسبة الزاهرة من أمجاد لغتنا العربية الفصحى ، على الرغم مما يثار فى طريقها من عقبات ومعوقات ، أنها تمثل فى مسيرتها التاريخية ، وفى حياتها الخالدة ، الاتجاه نحو الوحدة المتزايدة الاتساع ، وأن مسيرتها هذه ، تجرى وفق قوانين الطبيعة ونواميس الحياة .

لقد أشرنا ، سابقا ، إلى مدى الترابط بين مسيرة اللغة العربية الفصحى ، فى نموها وازدهارها ونضالها من أجل استعادة سيادتها فى وطنها ، ومسيرة أمتنا فى تحررها وتقدمها ووحدتها . ونحن إذا نظرنا إلى العالم من حولنا وجدناه عالم الكتل الكبير ولاشأن فيه للصغار ولا للضعاف ، وقد أدركت الأمم الأوروبية هذه الحقيقة ، بعد الحرب العالمية الثانية ، فبدأت بمحاولاتها للوحدة الأوروبية ، الاقتصادية والسياسية أيضا ، على الرغم من اختلاف لغاتها وشعوبها ، وعلى الرغم من العداء التاريخى المستحكم بينها عبر القرون .

وإذا وجهنا نظرنا إلى أمتنا العربية وروابطها التاريخية واللغوية والروحية المتينة ، تجد الأمر مختلفا كل الاختلاف ، فعوامل الوحدة كثيرة وأصيلة تعيش فى ضمير الأمة ، مرتبطة بعقيدتها ولغتها ، وأن عوامل الفرقة ، عوامل مصطنعة مفروضة على أمتنا بمختلف وسائل القهر والسلطان .

وتحتل اللغة العربية الفصحى المكانة الأولى فى توثيق دعائم الوحدة بين أبناء أمتنا العربية ، ولابد من أن تتكامل وحدة هذه اللغة فى جميع مجالات العلوم والفنون

---

(١) انظر : رأى العالم اللغوى جسبرسن ، عن المصدر نفسه .

والآداب ومقتضيات الحياة الحضارية . فكما أن الضرورة تقضى بأن تكون العربية لغة التعليم والبحث العلمى فى جميع مستوياته ، وفى العلوم كافة ، فإن الضرورة نفسها تقضى بأن تكون هنالك لغة علمية موحدة ، وأن تكون هنالك لغة مهنية موحدة ، ولغة حضارية موحدة . بل إن العصر الذى نعيش فيه ، والذى يتميز بتفجر المعرفة الإنسانية ، ولاسيما فى عالم التقنيات الحديثة ، ليفرض على مؤسساتنا اللغوية ، ليس فقط وحدة اللغة المكتوبة ووحدة الألفاظ الحضارية التى نستعملها فى حياتنا اليومية ، بل وتفرض عليها واجب العمل على التقريب بين اللهجات ، أى بين نواحى النطق فى اللغة المسموعة والمحكية فى جميع أقطار البلاد العربية . وإننى أستطيع أن أقول : لقد دخلنا الآن فى عصر بدأت فيه الدراسة السمعية للغة تحتل مكانة متميزة إلى جانب الدراسة البصرية . وعلى حد تعبير الأستاذ إبراهيم أنيس : « فيجب أن لاتنفر آذاننا من نطق بعضنا البعض ، لأن فى مثل هذا تفرقة بين أبناء الأمة العربية التى تعمل على توحيدها أو التقريب بينها »[1] .

ألا نرى أن ثورة لغوية عارمة قد بدأت منذ عشرينيات هذا القرن ، وازدادت خطورة فى العقدين الأخيرين ، حيث أحدث التقدم الهائل فى تقنيات وسائل الاتصال بين أبناء الأمة الواحدة وبين أمم الأرض جميعها وشعوبها المختلفة ، وما صاحبه من اتصال لغوى واسع ، تغيرات كبيرة فى الحياة الثقافية والاجتماعية ، فالهاتف واللاسلكى والطيران والإذاعة بنوعيها : المسموعة والمرئية ، والسينما والصحافة بتقنياتها المتسارعة فى تطورها تمدنا أيضا بقوة هائلة لم يعرفها تاريخ البشرية ، من أجل نشر اللغة العربية الفصحى وتوطيد دعائم وحدتها ، سواء أكان ذلك فى مجال الكلمة المكتوبة أم المسموعة والمحكية[2] .

ألا ترى فى الوقت الحاضر ، عشرات الألوف ، إن لم نقل مئات الألوف من أبناء أمتنا ، عمالا ومهنيين ومثقفين ، دون أن نذكر المعلمين والأساتذة والعلماء يعملون فى مختلف أقطار العروبة جنبا إلى جنب مع إخوانهم فى تلك الأقطار أليس من الضرورات الملحة أن يتحدث هؤلاء جميعاً لغة مهنية واحدة ، ولغة حضارية واحدة ، فالاتصال والاختلاط والاشتراك فى الحياة ، وانتشار المدارس والمعاهد والجامعات ، والخدمة العسكرية والأحوال السياسية والاقتصادية جميعها عوامل مهمة فى دعم اللغة العربية الفصحى وانتشارها وإذاعتها لغة منطوقة ومكتوبة من خلال وسائل نشر اللغة

---

(١) انظر : إبراهيم أنيس ، فى اللهجات العربية ، ص ٢٨ ، القاهرة ، ١٩٦٥ م .

(٢) انظر : محمود السعران ، اللغة والمجتمع – رأى ومنهج ، ص ٣ – ٤ ، القاهرة ، ١٩٦٣ م .

فى العصر الحديث. أليست ظروف الحياة ومقتضياتها وقوانين الطبيعة ونواميس الاجتماع ، تحتم وجود معجم موحد لألفاظ الحضارة ، يشتمل على جميع الألفاظ التى يستعملها المواطن العربى فى حياته اليومية ومعاشه ، كما تحتم كذلك وجود لغة علمية وتقنية موحدة ، كما هو الشأن فى لغتنا الأدبية الواحدة .

وإن قضية الحاجة إلى مثل هذا المعجم الموحد ، قد طرحت أيضا منذ سنين طويلة كما هو الشأن فى موضوع « المعجم التاريخى للغة العربية » فقد طرحها على بساط البحث كتاب ولغويون ، وأشاروا إليها فى كثير من الندوات العلمية ومؤتمرات التعريب فى الوطن العربى . وكان من قرارات مؤتمر التعريب الأول الذى انعقد بالرباط من ٣ إلى ٧ نيسان — ١٩٦١ التوصية التالية : « يوصى المؤتمر بوضع معجم معان ليستعين به أبناء العربية فى العثور على الألفاظ الدقيقة لما يجول فى أذهانهم من المعانى والصور » ، ولا شك أن هذه التوصية وغيرها من التوصيات والآراء التى طرحها كثير من اللغويين فى دراساتهم وبحوثهم ومناقشاتهم ، تدور جميعها حول هذا الموضوع الكبير ، الذى يتمثل بوجوب جعل لغتنا العربية الواحدة لغة العلم والتدريس والثقافة والبحث العلمى ، ولغة الحياة فى جميع جوانبها .

ولا شك أن الإنجازات اللغوية المتميزة التى كانت ثمار جهود مجامعنا اللغوية ، وأخص بالذكر منها مجمع اللغة العربية ، وحصنها الحصين بالقاهرة ، قد غنت العربية الفصحى وزادتها ثروة وخصوبة ، وأن هذه البحوث اللغوية القيمة والاجتهادات الأصلية ، وعشرات الآلاف من المصطلحات العلمية التى وضعت فى مختلف مجالات المعرفة الإنسانية ، كانت من وراء هذه النقلة التاريخية للغتنا ، وجعلت فى حدود الإمكان التحول التاريخى فى مسيرة اللغة العربية الفصحى لكى تحتل مكانتها الطبيعية سيدة فى وطنها ولكى تصبح اللغة الواحدة للعلوم والفنون والتقنيات والبحوث العلمية ، كما هى فى واقع الأمر اللغة الواحدة للتراث والآداب .

لم يكن من أهداف هذه الكلمة المتواضعة أن تقدم خطة علمية مفصلة من أجل وضع « معجم موحـــد لألفاظ الحضارة » ، ولكنها تحاول الكشف عن أن مثل هذا المشروع قد بات ضرورة ملحة ، وأن إنجازه قد أصبح فى حدود الإمكان وأن اتحاد المجامع اللغوية العربية مدعو بحكم موقعه التاريخى أن يتصدى لمعالجة قضايا اللغة العربية الفصحى من خلال المجامع اللغوية ، والجامعات وجميع المؤسسات العلمية والثقافية فى الوطن العربى ، التى تعنى بقضايا التراث واللغـــة وبقضايا الفكر والإبداع ، وذلك وفق منهجية علمية سليمة ودون بطء أو تماهل . فالتقدم العلمى

يزداد بتسارع كبير ، والفجوة التى تفصل بيننا وبين اللحاق بالأمم المتحضرة تزداد اتساعاً . ونحن نشارك الأستاذ حسن ظاظا الرأى فى قوله :

« إن صناعة المعاجم عندنا فى أزمة ، وهى بعيدة كل البعد عن مسايرة التقدم الفكرى والحضارى فى العالم العربى الحديث ، وفى العالم الكبير الذى يعيش المدنية المذهلة التى انبثق عنها هذا النصف الأخير من القرن العشرين »[1] .

ولا شك أن وضع معجم يوحد جميع المفردات الحضارية التى يستعملها أبناء الأمة العربية فى مختلف أقطارها ، لابد من أن يستند إلى خطة محكمة وأن تتضافر الجهود فى الأقطار العربية على القيام بجمع الألفاظ المستعملة فى شتى مناحى الحياة ، الفلاحية والصناعية والمهنيـة والاجتماعية والتجارية . . . الخ ، وأن تضبط ضبطا كاملا فى نطقها وأن تحدد دقيقاً فى دلالتها ، مستخدمين الوسائل التقنية الحديثة ، لكى تصبح موضوعا للدراسة والتصنيف والبحث إلى جانب ما تقوم به لجان علمية فى جمع أقصى ما يمكن جمعه من مادة لغوية مأخـوذة من معاجم المعانى ومن النصوص فى مختلف كتب التراث .

ونحن نعتقد أن استخدام الحسابات والأجهزة الإلكترونية والتقنيات الحديثة ، فى دراساتنا اللغوية ، بات أمرا ميسورا وواجبا ، إذا ما أردنا أن نلحق بركب الأمم المتحضرة . . . وأن مثل هذه الأبحاث اللغوية ستنجز بدقة متناهية وبسرعة مدهشة وسنجد أنفسنا أمام نتائج باهرة من حيث قدرة اللغة العربية الفصحى على استيعاب كل ما يجد فى عالم الفكر والمعرفة ، وذلك بسبب ما جمعته هذه اللغة من مفردات مدونة فى معاجمها ، ومما هو مثبوث فى كتب التراث ، ومما هو لم يدون وتدور به ألسنة عامتها ، وهو فى أكثريته الكاثرة من اللغة الفصحى ؛ هذا من ناحية ومن ناحية أخرى بسبب خصائص العربية نفسها ، وطرائق نموها ، من قياس واشتقاق وقلب وإبدال ونحت وارتجال ومجاز واقتراض . . . الخ مما يكسبها فى ذاتها المرونة والقدرة على استيعاب كل ما يجد فى عالم المعرفة .

وأخيرا أيها السادة العلماء ، فإن أجمل تحية يمكن أن نقدمها إلى مجمعنا الشيخ بالقاهرة ، وإلى علمائنا الأفذاذ ، شيوخ العربية وفرسانها الذائدين دوما عن حياضها أن نرسى بنيان مجمع واحد للغة العربية ، بنيان مجمع اللغة الخالدة لخلود القرآن الكريم ، وأن نمثل العيد الخمسيني الزاهر انعطافا تاريخيا فى مسيرة لغتنا فى العصر الحديث ، بأن نتبنى مشاريع

---

(١) حسن ظاظا ، كلام العرب من قضايا اللغة العربية ، ص ١٥٢ ، القاهرة ، ١٩٧١ م .

محددة على مستوى الوطن العربى ، بإمكاناته العلمية والمادية ،
ونشره ، ووضع المعجم التاريخى ، والمعجم الموحد لألفاظ ا-
للمصطلحات العلمية فى جميع مجالاتها ومستوياتها ، إلى .
عربية تعنى بنقل العلوم من حيث هى علوم والتقنيات الحديثة إلى اللغة
يصاحب هذا كله قرار سياسى ، بفرض اللغة العربية ، كى تصبح ، وبصور
لغة التعليم فى جميع مستوياته ، وفى جميع الكليات والجامعات والمعاهـــد العالية .
وأن تكون لغة البحث العلمى والتقنيات الحديثة ، وأن تكون لغة الحياة فى جميع مناحيها
وبذلك وحده تستطيع أمتنا أن تشارك بأصالة فى بناء الحضارة الإنسانية .

الدكتور عبد الكريم خليفة
عضو المجمع (الأردن)

المراجع

١ — إبراهيم أنيس ، فى اللهجات العربية القاهرة ، ١٩٦٥

٢ — إبراهيم أنيس ، من أسرار اللغة ، القاهرة ، ١٩٦٦ م

٣ — إبراهيم السامرائى ، اللغة العربية فى العصر الحديث ، القاهرة ، ١٩٧٣ م

٤ — إبراهيم السامرائى ، اللغة والحضارة بيروت ، ١٩٧٧ م

٥ — أحمد الأخضر غزال ، المنهجية الجديدة لوضع المصطلحات العربية ، الرباط .

٦ — أحمد تيمور ، معجم تيمور الكبير فى الألفاظ العامية ، تحقيق حسين نصار ، القاهرة ١٣٩١ هـ — ١٩٧١ م

٧ — أحمد رضا العاملى ، رد العامى إلى الفصيح ، صيدا ، ١٩٥٢ م

٨ — أحمد عبد الغفور عطار ، الزحف على لغة القرآن ، بيروت ، ١٩٦٥ م

٩ — تمام حسان ، اللغة العربية — معناها ومبناها ، القاهرة ، ١٩٧٣ م

١٠ — حسن ظاظا ، اللسان والإنسان مدخل إلى معرفة اللغة ، القاهرة ، ١٩٧١ م

١١ — حسن ظاظا ، كلام العرب — من قضايا اللغة العربية ، القاهرة ، ١٩٧١ م

١٢ — عباس حسن ، اللغة والنحو — بين القديم والحديث ، القاهرة .

١٣ — عبد الصبور شاهين ، فى علم اللغة العام ، بيروت ، ١٤٠٠ هـ — ١٩٨٠م

١٤ — عبد العزيز بنعبد الله ، التعريب ومستقبل اللغة العربية ، الرباط ، ١٩٧٥ م

١٥ — على عبد الواحد وافى ، فقه اللغة ، القاهرة .

١٦ — على النجدى ناصف ، من قضايا اللغة والنحو ، القاهرة .

١٧ — محمد الخضر حسين ، القياس فى اللغة العربية ، القاهرة ، ١٣٥٣ هـ

١٨ — محمد عيد ، المظاهر الطارئة على الفصحى ، القاهرة ، ١٩٨٠ م

١٩ — محمود السعران ، اللغة والمجتمع — رأى ومنهج ، القاهرة ، ١٩٦٣ م :

٢٠ — محمود محمد شاكر ، أباطيل وأسمار ، القاهرة .

٢١ — مجمع اللغة العربية ، محاضر الجلسات .

٢٢ — مراد كامل ، دلالة الألفاظ العربية وتطورها ، القاهرة ، ١٩٦٣ م

٢٣ — نفوسة زكريا ، تاريخ الدعوة إلى اللغة العامية وآثارها فى مصر ، القاهرة ١٩٦٤ م .